[154] الاهتمام القوي في دفع ذلك (1). نعم، من أين جاءت هذه الاحاديث والروايات، إن ذلك لمريب حقا. وإنه أيضا لغريب وعجيب ! ! نظرية التطور عند أهل الحديث: قد ظهر مما تقدم: أن الاحاديث التي كان قد بلغ تداولها إلى درجة الصفر أو كاد، قد بدأت بعد السماح للناس بالرواية، بعد عشرات السنين تظهر عليها أعراض التضخم المطرد بصورة غير طبيعية، وبدون أية ضابطة أو رابطة. إذ أن مراجعة جامعة لكتب تراجم الحفاظ وأهل الحديث، ومن يسمونهم بالفقهاء مثل تذكرة الحفاظ للذهبي (2) وغيره تعطينا أمرين: أحدهما: أنها تعظم وتفخم وتخلع مختلف الالفاظ الدالة على الحفظ والعلم، والتبحر على أشخاص كثيرين، بل تصف بعضهم بأنه وحيد في مصره أو في عصره. ثم يظهر: أنه إنما كان يحفظ ثلاث مئة حديث، أو لم يثبت لديه سوى سبعة عشر حديثا، أو لا يعرف أنه يحرم الزواج بأم الزوجة، أو ما إلى ذلك مما ألمحنا إليه. الثاني: إن ملاحظة طبقات الحفاظ تعطينا تدرجا ملفتا للنظر في حجم الاحاديث، فتجد أن طبقة كبيرة في الصدر الاول يوصف الحافظ

_____ (1) راجع: تعجيل المنفعة برجال الاربعة ص 6. وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص 37 عنه. والقول المسدد في الذب عن المسند للامام أحمد، لابن حجر العسقلاني. وذيل القول المسدد للمدراسي. (2) شرف أصحاب الحديث ص 115 وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة لعبد الجبار ص 193. (*)

_____